

في ضيافة الأنس القرآنية

المناسبة: حلول شهر رمضان المبارك.

المكان: طهران - حسينية الإمام الخميني عليه السلام

الزمان: 1389/5/22 هـ ش. 1431/9/2 هـ ق. 2010/8/13 م.

الحضور: جمعا كبيرا من المقرئين المتفوقين وحفاظ القرآن الكريم.

4321

نشكر الله تعالى على توفيقه بأن أطل من عمرنا بفضل له ولطفه لكي
نتمكن مرة أخرى من المشاركة في هذه الجلسة - التي هي جلسة شديدة
العدوبة والتأثير والفائدة - وأن نستفيد من تلاوة الآيات القرآنية الكريمة
بواسطة قرائنا الأعزاء. وهذا العبد يعدّ هذه النعمة الكبرى - التي هي في
الواقع نعمة التنامي المضطرد لمحبة القرآن في مجتمعنا - نعمة لعله لا يوجد
ما يعدلها.

كان اجتماعنا اليوم اجتماعاً ممتازاً؛ فالقرّاء المحترمون، سواءٌ منهم
أساتذة القراءة الذين تفضّل بعضهم اليوم بالتلاوة، أو الشباب الأعزاء الذين
دخلوا في هذا الوادي تشعرنا بأن إستعداداتهم الجيدة وأصواتهم الحسنة
وميولهم الجيدة تبشّر بمستقبل أفضل للبلد. وها أن الله تعالى قد أعطانا هذه

النعمة. ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾ [الحجرات:7] فإنها لنعمة عظيمة بأن يجعل الله الإيمان بلوازمه محبوباً لدى شعبنا ويزينه في قلوبنا.

لو أردنا أن نستفيد من القرآن بالمعنى الحقيقي للكلمة فعلينا أن نتعرف على معارفه ومفاهيمه. فهنا تكون التلاوة والحفظ والأنس بالقرآن لمساعدتنا في هذا المجال. ولو لم يكن موضوع دراسة القرآن لما تمت توصيتنا بهذا المستوى بتلاوته. فعلينا أن نلتفت إلى أن الهدف ليس إيجاد هذه الأمواج الصوتية وبنها في الأجواء. فليس هذا هو الهدف. كما أنه ليس الهدف أن نلتذ بالصوت الحسن لمن يقرأ القرآن بلحن جميل مثلما يحدث عند إنشاد الشعر. فهذه جميعاً مقدمات لفهم معارف القرآن: التلاوة، وما يشيع التلاوة في المجتمع كالصوت الحسن واللحن الجيد وما يُعدّ من عناصر ترويح التلاوة في المجتمع وترغيب النفوس بها.

ولفهم معارف القرآن درجات. أولها ما يحصل من التأمل في ألفاظ القرآن وترجمته. وعندما نقول "المعارف القرآنية" فلا يعني أن هناك أبواباً مغلقة ومشفرة لا يمكن لأحد أن يصل إليها. هناك معارف عالية لا يمكن لأيدي أمثالنا أن تصل إليها، ولكن هناك الكثير من المعارف يمكن لنا - نحن الأشخاص العاديين - أن نفهمها ونستفيد منها بشرط أن نتوجه إلى هذا الكلام وهذا البيان. وفي هذا المجال آيات قرآنية كريمة كثيرة؛ وهي تمثل دروس حياتنا. منها على سبيل المثال هذه الآية الشريفة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ

إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿الفتح:10﴾ فهذا درسٌ واضحٌ لحياتنا. ﴿مَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ [الفتح:10]: إذا نقضتم أو نكثتم بالعهد الذي أبرمتموه مع النبي والإسلام ونقضتم البيعة التي مع الله فإنكم تكونون بذلك قد عملتم خلاف مصلحتكم، ﴿مَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾: فنقض البيعة مع الله والرسول ﷺ تنقلب علينا ولا تؤثر في الله ورسوله أو تضرهما شيئاً. ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح:10]، أما إذا وفينا بهذا العهد الذي عاهدنا عليه الله والنبي نكون قد عملنا لمصلحتنا وسوف ننال ثواباً عظيماً من الله المتعال. وهذا الثواب لم يذكر أنه في الآخرة أو في الجنة وإن كان قسمه الأعظم بالطبع في الآخرة، ولكن هذا الثواب هو في الدنيا أيضاً. ففي الدنيا سوف ننال هذا الأجر. وهذه الآيات من سورة الأحزاب المباركة التي تلاها علينا أحد الإخوة أو لعلّه مجموعة من الإخوة: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا، لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾ [الأحزاب:23-24] هذا الصدق هو هذا: صدقوا ما عاهدوا الله عليه، أي أنهم التزموا بصدق بالعهد الذي عاهدوا الله عليه والوعد والميثاق الذي أبرموه مع الله والتزموا به ولم تحرفهم عنه مصاعب الحياة وزخارف الشهوات الدنيوية. ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾ وبسبب هذا الصدق والالتزام بهذا الوعد والعهد الإلهي فإن الله سيجزيهم. فهذه معارف يمكن فهمها بمراجعة ظاهر القرآن. وإن كان وراءها معارف أسمى وأعلى

بوجه مسلّم. ومما يمكن للخواص وعباد الله الصالحين أن يفهموه ومما لا تناله أفهامنا إلا عبرهم. فمن المسلّم وجود مثل هذه الأمور حيث ذُكر أن للقرآن بطونا. يوجد العديد من الروايات التي تذكر أن للقرآن ظاهرا وباطنا وأسرارا وأعماقا؛ كالبحر الذي له ظاهرٌ وهو ما نسميه بالماء أو البحر، ولكن لا ينحصر الأمر بظاهره فله أعماق وفي أعماقه حقائق وأشياء؛ فهذا من المسلّمات. ولكن يمكننا أن نستفيد أيضاً من هذا الظاهر. لكن بأي شرطٍ؟ بشرط الدقة والتأمل.

إن ما ذكرناه مكرراً - لعدّة سنوات ونحن نذكره ولحسن الحظ أثمر حيث يرى المرء أثره - نذكره مرّة أخرى هنا: أنتم الذين تتلون هذه الآية تعرّفوا على معناها بوجهٍ صحيح. ذلك المعنى الذي يمكن للعارف بالعربية أن يفهمه. وإذا حصل هذا الفهم فحينئذ وأثناء التلاوة يعطي المجال والإمكانية للتدبر. أي أنه يمكن للمرء حينها أن يتدبر. وأنا أقول لكم أننا عندما نعرف معنى الآية، فإن نفس هذا الفهم لمعناها سيوجّه لحن من يمتلك الصوت واللحن والتلاوة. إذا كنا نعرف ماذا نقرأ، فلا يلزم عندها أن نتطلع إلى فلان القارئ المشهور مثلاً عندما يقرأ هذه الآية لنرى متى يخفض ومتى يرفع ومتى يرقق ومتى يشدّد. كلا، فلا لزوم لمثل هذا. إذا فهمنا المعنى فإنّ نفس هذا المعنى سوف يهدي صوت من يمتلك صوتاً مناسباً قابلاً للحن والتناغم. فمثل هذا سيمنحنا لحناً كما يحصل في الحوارات العادية، فأنتم عندما تتحدثون في العادة ينخفض صوتكم أحياناً ويرتفع ويهدأ ويشد ويتقطع

ويتمركز. ولا يكون هناك أي نوتة معدة مسبقاً وإنما يكون ذلك طبق أحاسيسكم وغريزتكم، فلو فهتمم معنى الآية القرآنية هكذا فإن نفس هذه الغريزة سوف تعينكم على الأداء، وأين ينبغي أن تقرأوا بتمهّل وأين تقفون ومتى توصلون ومتى تبدأون. فالتمكن من الآيات القرآنية يعطي الإنسان هذا الفن. ولا شك بأن هناك من يفهم آيات القرآن لأنهم عرب ويعلمون ترجمة الآية جيداً. فهم عرب، ولكن المرء يرى كأنهم لا يقرأون بالإنشاد إلى المعنى. ومن القراء المصريين المعروفين هناك من يقرأ كأنه كلف بنصّ عليه قراءته من أوله إلى آخره دون أن يكون بقصد تفهيم المخاطب. هذا ما يشاهده المرء في بعض القراء ولكن البعض غير ذلك. فإن قراءتهم وتلاوتهم تشبه مخاطبة الغير؛ ويجب أن تكون تلاوتكم كذلك.

وللأسف، فإن أكثر شعبنا قلما يستفيدون بشكل مباشر من ألفاظ الآيات القرآنية الكريمة. فأكثرهم لا يعرفون العربية. وهذا يعدّ حرماناً؛ ولهذا تم فرض تعلّم اللغة العربية التي هي لغة القرآن في قوانيننا كل ذلك لأجل هذا الأمر. فلو أردنا في الحقيقة أن نفهم معاني القرآن، فيمكن للأشخاص العاديين الذين لا يعرفون العربية مراجعة التفاسير أو الترجمات. ولحسن الحظ يوجد اليوم ترجمات جيّدة، ففي بلدنا هناك أشخاص بذلوا جهوداً لتقديم ترجمات جيدة. وعلى أي حال فإنني أوصيكم أيها الإخوة الأعزاء الذين تتلون القرآن بصوت حسن أن تلتفوا إلى هذه النقطة: وهي أن تقرأوا القرآن بالتوجه إلى المعنى، فاقراءوه بطريقة وكأنكم تخاطبون في المقابل

شخصاً بواسطة لغة القرآن. ولو حصل ذلك، فإنكم حينها ستنتفعون بقراءتكم
وينتفع الناس بالإستماع إلى القرآن وسماع تلاوتكم.

أملنا إن شاء الله أن يوسع الله تعالى يوماً بعد يوم دائرة فهم القرآن
والإستفاضة منه وفهم معارفه بين شعبنا وأمتنا ويجعلنا من المحظوظين أكثر
من الحظوظ والبركات القرآنية.

وإنني أوصي بهذا حتماً وهو أن يعمل أصدقائنا القراء على ترجمة
القرآن بحيث يصبح لهم في الواقع تسلط على الترجمة ولا شك بأن حفظ
القرآن في هذا المجال مهم جداً. وإن شاء الله توفقون وتؤيدون.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.